العجوزان

تمنَّى العجوزان؛ الرجل وزوجته، اللذان أحبَّا بعضهما حبًّا جمًّا فترة حياتهما السعيدة، أن يطيلَ الله بقاءهما في الحياة حتّى يتمكّن الزوج من إتمام مصالحه وتسجيل بعض أعماله، وهما في هذه السعادة الغامرة قالت الزوجة:

- الله يبارك في أعمارنا، ويجعل يومي قبل يومك يا أبا محمود.

عادة ما تردَّد هذه العبارة بين رجل وزوجته، ابتسم الزوج، وقال:

- أنا الذي أتمنّى أن يجعل الله يومي قبل يومك يا سعاد يا حبيبة قلبي وسرّ سعادتي.

كانت هذه اللحظات السعيدة بينهما تظهر حبًّا مشتعلًا وعشقًا تفجّر بركانه منذ أن التقيا أوّل مرة.

وفي سهرة شاعرية طريفة في شرفة المنزل حيث الهواء الطلق، والنسيم العليل في ليلة مقمرة، ملأها القمر بنوره حبًّا وعشقًا، تذكرا ماضيهما السعيد وأيّام الحبّ والغرام، حتّى تثاءب الزوجان وتوجّه كلّ منهما إلى الفراش هادئ الأعصاب خالي البال، ليغوصا في ثبات نوم عميق.

وبينما الزوجة تسبح في أحلامها، تأمل نيل مطالبها، وتحقيق رغباتها، ترى عزرائيل (ملك الموت) يتربع فوق رأسها، فانزعجت، وقالت، وهي ترتجف: ما الذي أتى بك إلى هنا الآن؟ قال: استجاب الله لدعواتكما الليلة، حينما دعا كلّ منكما بما تمنّاه لنفسه، وقلتِ: اللهمّ اجعل يومي قبل يومك يا أبا محمود، وأنا الآن جئت لأنفِّذ واقبض روحك. قالت الزوجة متأثرة، وهي تبكي وترتجف لا... لا... أنا ما دعوت هذا الدعاء من قلبي، ولكنني دعوته ليتمّ زوجي

إجراءات تسجيل العمارة، التي وهبها لي بالأمس، وصدقني فأنت تعرف جيدًا أنّ الله يعلم ما تخفيه الصدور، وبما تعنيه القلوب، وأؤكد لك إنّني ما قلت هذا الدعاء إلّا تشجيعًا له ليتم وعوده لي، وأتوسل إليك ألّا تقبض روحي الآن وتبدأ به.

لأنّ كثيرًا ما يحدّث أن يفكر المرء في شيء، أو ينشغل بأمر فيحلم به، فقد صادف أنّ الزوج حلم بما يشبه حلم الزوجة، إذ رأى عزرائيل أمامه فانزعج، وقال ما يشبه قول الزوجة، وهو يقنعه ليبدأ بها بحجّة أنّها هي، التي أثارت الموضوع، وبدأت بهذا الدعاء، ولولا أنّها بدأت به ما شاركها بمثل ما تمنَّت، واستطرد في حديثه قائلًا: عليك أن تبدأ بها، وأقسم لك إنّني ما قلت هذا الدعاء إلّا مجاملة لها عندما طلبت من الله أن يحقّق دعاءها، وأتوسل إليك أن تبدأ بها وتتركني لتكون عادلًا.

انصرف عزرائيل مع نور الصباح، واستيقظ الاثنان صباحًا يخفي كلّ منهما عن الآخر ما رأى في ليلته من أحلام، وقد تعودا الاجتهاد في تفسير أحلامهما كلّ صباح إلّا أنّ أحلام هذه الليلة تهشّمت ونُفِخت في الهواء، فصارت هشيمًا منثورًا صرفته الرياح.